إنزال القرآن على سبعة أحرف

بقلم الشيخ سيد سابق

جاءت الأحاديث الكثيرة تفيد أن القرآن نزل على سبعة أحرف.

وقد رويت عن واحد وعشرين من أصحاب الرسول ﴿ﷺ﴾، حتى إن أباعبيدة القاسم بن سلام قال: إن حديث نزول القرآن على سبعة أحرف متواتر.

١ ـ من هذه الأحاديث ماروواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ».

٢ ـ وعن بشر بن سعيد، أن أباجُهَيم الأنصاري أخبره أن رجلين اختلفا في آية من القرآن، فقال هكذا: تلقيتها من رسول الله ﴿ﷺ﴾، وقال الآخر: هكذا تلقيتها من رسول الله ﴿ﷺ﴾، فسألا رسولَ الله ﴿ﷺ﴾ عنها، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَلَا تُمَارُوا فِي الْقُرْآنِ فَإِنَّ الْمِراءَ فِيهِ كُفْرٌ» رواه أحمد والطبراني والبيهقى في مجمع الزوائد وقال رجاله رجال الصحيح.

٣ ـ وروى البخاري ومسلم، وأبوداود، والنسائى، والترمذي وأحمد، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة الرسول ﴿ﷺ﴾، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤها

على حروف كثيرة لم يقرأنيها رسول الله ﴿ﷺ﴾، فكدت أساوره فى الصلاة، فانتظرته حتى سلم، ثم لببته بردائه، فقلت له: من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﴿ﷺ﴾ . قلت له: كذبت، فوالله إن رسول الله ﴿ﷺ﴾ أقرأنى هذه السورة التى سمعتك تقرؤها، فانطلقت أقوده إلى رسول الله، فقلت: يارسول الله إنى سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها، وأنا أقرأتنى سورة الفرقان. فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: أرْسِلْهُ يَاعُمَرُ، اقْرأْ يَاهِشَامُ، فقرأ هذه القراءة التى سمعتُه يقرؤها. فقال رسولُ الله ﴿ﷺ﴾ هَكَذَا أُنْزِلَتْ. ثم قالَ رسولُ الله ﴿ﷺ﴾: اقرأْ ياعُمَرُ؛ فقرأتُ القراءةَ التَّى أقْرَأَني رسولُ الله ﴿ﷺ﴾، فقال رسولُ الله: هَكَذَا أُنْزِلَتْ. ثم قال رسول الله: إنَّ هَذَا الْقُرآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أحْرُفٍ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ.]

٤ ـ وأخرج أحمد والطبراني عن أبي بكرة [أنَّ جبْرِيلَ قالَ: يَامُحَمَّدُ اقْرأْ الْقُرآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ، فَقالَ عَلَى حَرْفَيْنْ حَتَّى بَلَغَ سِتَّةَ أوْ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ. فقالَ: كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ مَا لَمْ يَخْتِمْ آيةَ عَذابٍ بآيَةِ رَحْمَةٍ أوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بآيةِ عَذَابٍ كقولك: هَلُمَّ وتعالَ وأَقْبِلْ واذهَبْ، وأَسْرِعْ وعَجِّلْ.]

ماهو المقصود بالحروف السبعة ؟ :

اختلف العلماء في هذا على خمسة وثلاثين قولاً والرأى الراجح الذى ذهب إليه أكثر العلماء، منهم ابن جرير وسفيان بن عيينه: أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد نحو أقبل وتعال كما تقدم في حديث أبي بكرة.

واللغات السبع هى لغات قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن وكنانة وتميم واليمن.

وقال أبوحاتم السجستاني: نزل بلغة قريش، وهذيل وتميم، والأزد وربيعة، وهوازن، وسعد بن بكر.

حكمـــة ذلك :

والحكمة في ذلك تيسير القراءة والحفظ على العرب، فعن أُبِيّ قال: لقي رسولُ الله ﴿ﷺ﴾ جبريلَ عند أحجار المرائر (١) فقال: إني بُعِثْتُ إلى أُمَّـةٍ أُمِّيِّينَ مِنْهُم الْغُلاَمُ والْخَادِمُ والشَّيْخُ الْعَاسِ (الكبير الضعيف) وَالعَجُوزُ، فقالَ جبريلُ: فَلْيَقْرأُوا الْقُرآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ». رواه أحمد، وأبوداود، والترمذى والطبراني بإسناد صحيح.

التفسير والتأويل :

تعريف التفسير والتأويل :

فسَرَ من باب نصر وضرب : أبان وأظهر.

وتأتى كلمة فسّر مبالغة مثل ذَبح وذَبَّح.

وجاء فى التنزيل : «**وَلاَ يَأْتُونَك بِمَثَلٍ إلاَّ جِئنَاكَ بِالْحَقِّ وأَحْسَنَ تَفْسِيراً**»: **بيانا**. سورة الفرقان آية (٣٣)

وفى الاصطلاح : علم يُفهم به معانى كلام الله ويُستخرج به أحكامه وحكمه.

والتأويـــل :

يأتى بمعنى التفسير كما فى قوله سبحانه :

«**وَمَا يَعْلَمُ تأْوِيلَهُ إلاَّ اللهُ**» أى تفسيره سورة آل عمران آية (٧).

والرسول ﴿ﷺ﴾ دعا لابن عباس رضى عنهما فقال «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فى الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ».

---

(١) موضع قريب بقباء

وَيأتي بمعنى مايؤول إليه الأمر كما في قوله سبحانه :
﴿بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ولَـمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ سورة يونس آية **(٣٩)** أى عاقبة مافيه من الوعيد

وفي سورة الأعراف آية **(٥٣)** يقول سبحانه : **«هَلْ يَنْظُرونَ إلَّا تَأْويلَهُ(١) يَومَ يأتِي تَأْويلُهُ يَقُولُ الَّذِين نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بالْحَقِّ فَهَل لَنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُم وَضَلَّ عَنْهُم مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ»** : أي هل يَنْظُرون إلا عاقبة مافيه يوم يأتى تأويله : أى يوم القيامة .

ويأتي بمعنى فعل الأمر، ففى الحديث عن عائشة رضى الله عنها : كانَ رسولُ الله ﴿ﷺ﴾ يقول في ركوعه وسجوده سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي يَتَأَوَّلُ الْقُرْآن .

منـــزلة التفســـير:

يعتبر تفسير كتاب الله أسمى العلوم وأشرفها من حيث الموضوع والغرض والحاجة إليه .

فموضوعه كلام الله ، وليس بعد كلامه كلام لما ينطوى عليه من هداية وإرشاد، يقول الله سبحانه : **«إنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ»** سورة الإسراء آية (٩) . والغرض منه فهمه والعمل به ليحقق الإنسان الكمال فى الدنيا وليستعد ليكون فى جوارذي الجلال في الآخرة . والحاجة إليه ملحة لأنه يرسم المنهج الذي يصل بالإنسان إلى رضا الله ، وهو غاية الغايات ومنتهى الأمانى والآمال .

---

(١) أى مجيىء ما أخبر به

شــروط المفســر :

ويشترط فى المفسر الشروط الآتية :

١ ـ صحة العقيدة.

٢ ـ التجرد من الهوى.

٣ ـ أن يفسر القرآن بالقرآن متى أمكن ذلك.

٤ ـ أن يفسر بالسنة : مثل تفسيره ﴿ﷺ﴾ فى تفسير قوله تعالى: «**مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**» : بالزاد والراحلة. ومثل تفسيره ﴿ﷺ﴾ : **الظُّلْمَ** بالشرك فى قوله تعالى : «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ».

٥ ـ أن يرجع فى التفسير حيث لايكون كتاب ولاسنة إلى أقوال الصحابة، حيث توفر لهم مالم يتوفر لغيرهم.

٦ ـ كثير من العلماء يرجع إلى التابعين فى تفسير القرآن الكريم.

٧ ـ العلم باللغة وفروعها من النحو والصرف وعلوم البلاغة الثلاثة.

٨ ـ العلم بأصول العلوم المتصلة بالقرآن: كعلم القراءات وعلم التوحيد وعلم الأصول ومعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

آداب المفســر : ينبغى للمفسر ان يكون متصفا بالصفات الآتية :

١ ـ الإخلاص وصدق النية.

٢ ـ حسن الخلق والتواضع ولين الجانب ودماثة الخلق.

٣ ـ العمل بالعلم.

٤ ـ الأمانة في النقل.

٥ ـ الشجاعة في الجهر بالحق بعد الإعداد الكامل.

٦ ـ حسن السمت.

٧ ـ حسن الأداء.

التفسير بالمأثور :

يقول الله سبحانه ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ سورة النحل آية (٤٤)

والبيان يقتضى أن يبين لهم الرسول ﴿ﷺ﴾ ماخفى عليهم من ألفاظ القرآن ومعانيه.

وقد امتثل الرسول ﴿ﷺ﴾ فبين للأمة ماهو فى حاجة إلى بيان.

يقول أبو عبدالرحمن السلمى : حدثنا الذين كانوا يُقرؤننا القرآن كعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما : أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﴿ﷺ﴾ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا مافيها من العلم والعمل. قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا.

وإذا كان الرسول ﴿ﷺ﴾ بين وفسر لأصحابه فقد بين الصحابة للتابعين. يقول مجاهد : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أستوقفه عند كل آية وأسأله عنها، وقد بين التابعون كما أخذوه عن الصحابة.

فصار هذا البيان المنقول نقلا صحيحا عن الرسول ﴿ﷺ﴾ أو عن الصحابة أو عن كبار التابعين يسمى بالتفسير المأثور.

مميزاته :

التفسير بالمأثور يتميز بثلاث ميزات :

الأولى : قلة الخلاف فيه لأن الاختلاف بينهم عامة كان قليلا وماجاء فيه من خلاف فهو راجع إلى تفسير العام ببعض أفراده على سبيل التمثيل كما في قوله تعالى : ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُم ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ**

﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الكَبِيرُ﴾ سورة فاطر آية (٣٢)

فسر بعضهم «الظالم لنفسه» : هو الذى يوخر الصلاة إلى وقت الكراهة ويقول الآخر : هو المانع للزكاة.

وقد يكون الاختلاف لاحتمال اللفظ لمعنيين مثل: القرء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ﴾ سورة البقرة آية (٢٢٨)

وقد يكون الاختلاف لأن الألفاظ التى عبر بها عن المعاني متقاربة كما في قوله : ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ سورة الأنعام (٧٠) فسرها بعضهم بالحبس، والآخر بالرهن.

الثانية : خلوه من الإسرائيليات لأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب كان قليلاً.

الثالثة : أنه هو التفسير الصحيح البعيد عن الزيغ والزلل.

حكمـــــه :

التفسير بالمأثور هو التفسير الذي يجب الرجوع إليه والتعويل عليه لأنه تميز بمزايا لم يتميز بها غيره. يقول ابن عباس:

التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لايعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لايعلمه أحد إلا الله.

فالأول: هو الذى يُرَجَعُ فيه إلى اللغة.

والثاني : هو المحكم مما لالبس فيه من دلائل التوحيد وشرائع الأحكام مثل ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ سورة الإخلاص آية(١) ﴿قُلْ لاَ أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّه رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيرِ اللهِ بِهِ» سورة الأنعام آية (١٤٥)

الثالث : هو الذي يرجع إلى اجتهاد العلماء والمعتمد على الأدلة من بيان مجمل أو تقييد مطلق أو تخصيص عام.

الرابع : هو عالم الغيب مثل يوم القيامة وحقيقة الروح والعرش.

المحكم والمتشابه :

للعلماء في تعيين المحكم والمتشابه أقوال كثيرة منها:

١ ـ المحكم : ماعرف المراد منه إما بالظهور أو التأويل.

والمتشابه : ما استأثر الله بعلمه. كقيام الساعة وخروج الدجال.

٢ ـ المحكم ماوضح معناه، والمتشابه نقيضه.

٣ ـ المحكم : مالا يحتمل عند التأويل إلا وجهاً واحداً، والمتشابه: ما احتمل أوجهاً.

٤ ـ المحكم ماكان معقول المعنى، والمتشابه بخلافه كأعداد الصلوات، واختصاص الصيام بشهر رمضان.

الحروف المقطعة في القرآن :

اختلف العلماء فيها، فذهب قوم إلى أن الله تعالى لم يجعل لأحد سبيلاً إلى إدراك معانيها، وإنما هى مما استأثر الله بعلمها. فنحن نؤمن بظاهرها، ونَكِل علمها إلى الله سبحانه وتعالى. قال داود بن أبي هند: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور، فقال: ياداود، إن لكل كتاب سِرّاً، وإن سر القرآن فواتح السور، فدعها وسل عما سوى ذلك(١).

وروى عن ابن عباس: إن لكل منها تفسيرا، وإن تفسير قوله تعالى:

آلـــم : أنا الله أعلم

وقيـــل: هى اسم من أسماء القرآن .وقيـــل: هى مما يفتتح به القرآن.

وقيـــل: هى قســـم. والله أعلم

(١) الواحدى في كتابه الوسيط.